كتب

نوّاف رضوان الحريّةُ على الباب

حكاية مبعثرة مليئة بالعبث والجنون

محمود منير

في دفقٍ شعري تنسجه التأملات والنظرات الكاشفة لواقع محتشد بالتساؤلات والإبهام، يكتب نوّاف رضوان: «أنا نِتاجُ سلاحفِ الحكمةِ البطيئة/ وخيباتِ الأمل/ وخيبةُ الأمل؛ حقيبةُ ظهرٍ مليئة بالصخور. خرجتُ من رحمٍ يلوكُ الحجارة المقدّسة، والنكات البذيئة/ ونجوتُ/ نجوتُ بالضّحك الحرام/ واللغةِ الحرام/ والمسّ الحرام».

يؤسّس الشاعر والكاتب الفلسطيني نصّه على صورةٍ مبتكرة قادمةٍ من عوالم كابوسية وزمن شيّدته الهزّائم والانكسارات ورغباتٌ مكبوتة للخروج عن سائدٍ اجتماعيّ وثقافي وسياسي، وفي الكتابة أيضاً، حيث لا تنتظم اللغة في اختيار المفردات واتساق مبناها، جانحةً إلى غرابة الدلالة واغتراب المعنى.

نصوص شعرية تمتزج بالسرد في كتاب رضوان الذي صدر عن «منشورات الغرفة» بعنوان «حفلة الديك»، في وصف لرحلة متعدّدة المستويات تختبر مجموعة مفاهيم وأفكار، متحرّرة من أية مرجعيات وأحكام مسبقة حول العلاقة مع الوطن والهوية والعائلة واللغة والآخر. وينتقل في مواجهته للعالم بين العام والخاص، بلا حدود تفصل بين شؤونه الذاتية والعائلية وتفاصيله اليومية وثرثراته مع الأصدقاء وبين تعليقاته على أحداث سياسية أو خلاصات معرفية أو قضايا كبرى، فيدوّن في أحد المقاطع: «لي لغةٌ يسكُنها التوحّش/ تحت جلدِ القبيلة/ والقبيلةُ عُصْعُص في مشارحِ الأنثروبولوجيا البيضاء/ ونجوتُ منَ نَفْسي/ لكنّها لم تنجُ منّي». يفتتح رضوان كتابه بسرد تفاصيل عودة الراوي/ البطل إلى المنزل في مدينة حيفا في أجواء فانتازية، منذ أن توقّف سائق التاكسي وأشار بيده إلى نافذة مضاءة في الطابق العلوي بأن العائلة تنتظره في الداخل، لينزل الراوي رغم أنه لم يتعرّف إلى المكان، إلا أنه شاهَد أمّه وأباه يبتسمان، وحين حاول أن يدخل العمارة وجد الأبواب موصدةً، كما رفضت والدته أن تُدخله ما لم يُرها كفن والده، ففتح حقيبته باحثاً عن ذلك الكفن فلم يعثر إلّا على بطاريات قديمةٍ متحلّلة، ثم غاب وجه أمّه.

يواصل رضوان سرده باقتفاء ثيمة قديمة جديدة بمصادفته نساءً يعرفهنّ دون أن يتعرفّن إليه أو يتبادلن معه الحديث أو تواصلاً مفهوماً، فبعد أن يغادر منزل العائلة متوجّهاً إلى «نُزل السعادة» الذي تديره سيدة تشبه جدّته، لكنها ستتجاهل تودُّده إليها، وتتحدّث معه باللغة العبرية وبلكنة رسمية، ويتتابع السرد بأحداث غرائبية، فالدرجات تنهار تحت رجليه وسط ضباب كثيف وعربة أطفال تنزلق نحو الحافّة وتسقط، فيما أمّه جالسة وسط خالاته ويضحكن بهستيريا عليه!

يحضر الشعر بعد حكاية مبعثرةٍ مليئة بالعبث والجنون، في زمن متفلّت تعود ذاكرته إلى ستّة وسبعين سنة مضت، متنقّلاً بين الوطن والمنفى، حيث يكتب: «أكتبُ عن جدّي أمام تلفزيونه المربّع الصغير/ يشاهدُ الكوباكابانا، وخليج المايا في تايلند/ وشواطئ وايت هافن في أستراليا/ ويحكي عن الأشجار الهاربة من المجزرة عام 1948/ وكيف هجَم المستوطنون على غنماته المطمئنّة/ فجفّتْ ضروعها من الخوف».

وفي موضع آخر، يقول: «أكتبُ عن ألمانيا المكتئبة/ لكي أصبح ألمانيّاً، أحتاجُ إلى: دراجة هوائية وكلب أعمى وإحساس شديد بالذنب»، في إشارة إلى تهمة «معاداة السامية» التي تُرعب الألمان وتخرسهم عن أيّ نقد يمكن أن يوجّه إلى «إسرائيل».

يسجّل رضوان مزيداً من المفارقات في كتابه مسترسلاً في قصّ عوالمه الكابوسية، وواقعه الذي لا يستقيم مع كلّ هذه الفوضى والخروجات عن المنطق والأزمات التي تعصف باللحظة الراهنة بما يثقلها من ماضٍ ويشوّش فهم الآتي، ومنها «بنى أبي نصفَ تل أبيب، والنصف الآخر بناه أعمامي. دخلوا من الضفة الغربية إلى إسرائيل قبل 35 عاماً، بمسطريناتهم التي تلمع تحت الشمس الحارقة، كانوا يغنّون الدلعونا ويضحكون..». يتواصل سرد قصة والد المؤلّف، الذي درس الكيمياء وعمل في الدهان والبناء في كيان الاحتلال بدون تصريح عمل؛ وضع يستدعي الهرب من ملاحقات الشرطة، وحالة من القلق الدائم، حتى مات بخطأ طبّي غير مقصود في مستشفى «إيخلوف» في تل أبيب أو هكذا تمّ إخبار عائلته، ليرحل بخطأ طبي صغير وثقب صغير في الرأس أنهى حياته، ما يعني أنّه قُتل برصاصة!

الكتاب الذي استهلّه بإهداء «إلى خالد، العزّ/ني؛ أبي»، يتألّف من ثلاث حركات افتتح رضوان كلّاً منها بمدخل مستفزّ، وكان افتتاح الحركة الثانية بقوله: «بالنسبة إلى أبي، كانت الحياة مزحة ثقيلة الدم، وبالنسبة إلى أمّي، فهي تضحك منذ 56 عاماً»، وأتبعها بمقاطع شعرية عدّة يأتي في أوّلها: «الحريّةُ على الباب/ صرخَ أبي/ لا تفتحوا لها/ ألفُ شرطيّ يقفون وراءَها بهراواتهم الجميلة/ وقالتْ أمّي/ لكي لا يدخل الغبارُ يا بنيّ».

تحتلّ شخصية فلاديمير مساحة خاصة في السرد كونها ترتبط على نحو وثيق بحبكة العمل؛ مهاجر روسي يحرص على تأكيد يهوديّته ثم سرعان ما يتخلّى عنها وينفيها مطلقاً بمجرّد خسارته في لعبة القمار التي أدمنها، لكن كل ذلك لا يهمّ أحداً في كيان الاحتلال الذي يحتشد بأمثال «فلاديمير»، لتمضي حياته بلا معنى، حارساً لإحدى البنايات، لا يستمع أو ينتبه أو يلحظ المارّة من حوله. يحاول فلاديمير جاهداً أن يتحوّل إلى «شلومو» والاندماج في المجتمع الجديد، بحسب الرواية التي تُوضّح أنه «أصبح يهودياً إسرائيلياً خالصاً، لا تستطيع تمييزه عن أيّ يهوديّ آخر، إلّا من خلال لكنته الروسية الثقيلة وأحاديثه المفكّكة ورائحة الفودكا التي تفوح منه طوال الليل والنهار مثل موسيقى بحيرة البجع»، بمعنى أدقّ أنه لم يعد قادراً على تذكّر ملامحه القديمة، إلى أن أتى الرابع من آذار/ مارس 2001 حين فجّر شاب فلسطيني جسده في المنطقة التي يحرسها فغاب عن الوعي. صحا فلاديمير لكنه أصيب بـ«تروما» لم يُشف منها، حيث اضطرب نومه إلى أن غفا يوماً فسُرق مسدّسه، ليحال إلى التحقيق بتهمة بيع مسدّسه لأحد الفلسطينيّين لكثرة علاقاته معهم في الحيّ، لينتهي السرد بعبارة مكثّفة: «أنا فلاديمير.. أنا من كانت حياته بأكملها مجرّد مزحة».

يختتم رضوان نصوصه المتفلّتة بمخاطبة إلى «أيّها القارئ الغريب/ أيّتها القارئة الغريبة»، مضيفاً: «هذا الكتاب لا يعبّر عن رأي أحد، ولا حتّى أنا. قد تقول هذه النصوص شيئاً ما، وقد لا تقول أيّ شيء! صدّقوني، لقد وصلتُ إلى هنا كما وصلتم، فتحتُ الباب، ودخلتُ الحفلةَ مثلكم تماماً، وحين أردتُ المغادرة، لم أجد باب الخروج».

ماجد شلا، ورق ومواد مختلطة على نايلون، 270 سم × 200 سم × 60 سم

محمّد الأصفر الكتابة بنفَس مغاربي

عودة إلى زمن الحرب الليبية الشادية

مزوار الإدريسي

يطرق الكاتب الليبي محمد الأصفر مواضيع طريفة في رواياته العديدة. هكذا يجد القارئ نفسَه دوماً يصادف اللامتوقَّع في نصوصه، وهذا هو الانطباع الذي قد ينتهي إليه قرّاء روايته الجديدة «شجرة القلائد» («دار الفرجاني»، 2024) التي تحفل بمداخل مختلفة تجعل الرواية مفتوحة على تأويلات غير نهائية، وذاك شأن الروايات الأصيلة والمجدِّدة في الوقت ذاته. تتّسم «شجرة القلائد» بأحداث متسارعة في أمكنة متعدّدة هي ليبيا والمغرب والتشاد، وبتشويق يشدّنا إلى مواصلة القراءة رغبة في اكتشاف الآتي، الذي تشغلُه حكايات غرامية بتجاربها المختلفة، ووقائع إرهابية، وعاداتٌ اجتماعية، وأوضاع سياسية، ومعطياتٌ أنثروبولوجية، ومواقف فنّية (عشق العيط والزجل والغناء)، وأحداثٌ غير متوقّعة، ناهيك عن استعراض فقرات من السرد الأسطوري والديني وحلقات من التاريخ. تبدأ الرواية بوقوف مُسِنّات عند شجرة، يرقصن على زقزقات عصافير، وبانتباه هارون، الذي كان يشاركهنّ رقصهنّ، إلى هُدهُد حطّ خلفه، وكان قد طفق يُكرّر حرف الشين، فرجّح أن تكون مرّاكش هي المقصودة، لعلاقة سابقة له مع مَوجة، الفتاة التي ربطته بها علاقة غرامية حديثة، لتنطلق الأحداث العجيبة، التي يحضر فيها العجائبي بقوّة، فالهُدهُد اشترطتهُ «شوّافة»، أي عرّافة، بجامع الفنا في مرّاكش وكانت جاسوسة في الوقت ذاته، لإحضار هارون. حصلت الفتاة على مرادها، لكن شرط أن تحتفظ الشوّافة بقلادة ذهبية كانت تُطوّق عُنق موجة، وكان هارون قد أهداها لخطيبته، وقبلَها قال لها: «خلّيها في رقبتك دائماً، فتأثيرها في النفس مُبهج ومبدّد للأحزان»، وهو بدوره حصل عليها هدية من المُطربة الشعبية في بنغازي الحاجّة خديجة الفونشة الملقَّبة بالوردة الليبية. هكذا تكون حكاية القلادة قصّة داخل قصّة، على غرار لُعبة الدُّمى الروسية. تُقدّم الرواية نفسها بصفتها «ماتريوشكا»؛ فالحكايات داخلها تتوالد بشكل سريع، لكنّ اللافت فيها هو حكاية شجرة القلائد، التي شكّلها فنّانٌ تشادي يُدعى بَرَكة من قلائد جنود ليبيّين من ضحايا حرب ليبيا القذافي على تشاد. كانت القلائد تحمل أسماءَهم وأرقامهم، فصهرها بَرَكة وصنع منها شجرة فنّية ضخمة، ستُحمل في شاحنة ملحمية إلى ليبيا، وبتواطؤات وحيل كثيرة كُتب لها أن تُنصب على رأس جبل، لتتحوّل إلى مَعلم فنّي يقصده الزوّار، في عهد القذافي، ثمّ لن يتأخّر بها الزمان كثيراً، إذ ستغدو مزاراً، وبعدها ستعود أدراجها إلى تشاد، لتُصهر مجدَّداً، وتُصنع منها قلائد للجنود الذين قضوا في حرب عبثية، حتى كأنّنا مع فكرة العود الأبدي النتشوية. وتلفت شخصية المغربية موجة، زوجة هارون، النظر بحضورها القويّ، فهي بخبرتها في العمل بالسياحة، أفلحت في اقتراح مشاريع سياحية، وفي أن تخوضها محلّياً في ليبيا وفي المغرب، بل والمشاركة في رالي داكار، وفي اقتراح فكرة شجرة القلائد، وغيرها من الاقتراحات الأُخرى، ما يجعلنا نقول إنّ الرواية تصدر عن وعي نسوي واضح، يُؤكّده خطابُها من خلال شخصيتين أُخريين فاعلتَين في أحداث الرواية هما الشوّافة وسليمة، دون نسيان الدور الذي قام به هارون وسليم في تبنّيهما مبادرات النساء، بإسهامهما في تفعيلها لإنجاحها. ويبرز الخطاب السياسي في شجرة القلائد، لأنّها اهتمّت بإبراز العطب السياسي الليبي في عهد القذافي، من خلال وصف المضايقات والملاحقات البوليسية المجّانية لكل من يخالف رأي النظام الحاكم، والتنديد بحربه على تشاد، مثلما نادت إلى التضامن المغاربي، الذي تجلّى في الزواج بين الليبي هارون والمغربية موجة. وتبقى الفكرة التي تستدعي السبر والإبراز أكثر في هذه الرواية، حسب ما أرى، هي فكرة «اللّمس» في تجلّياتها المختلفة، التي منها أنّ «تأثيرها في النفس مبهج ومبدّد للأحزان» إلى تشبّث زوّار شجرة القلائد بلمسها طلباً لبركة مرتجاة، وهو أمرٌ يقتضي بحثاً أدقّ وأعمق.

(أكاديمي ومترجم من المغرب)

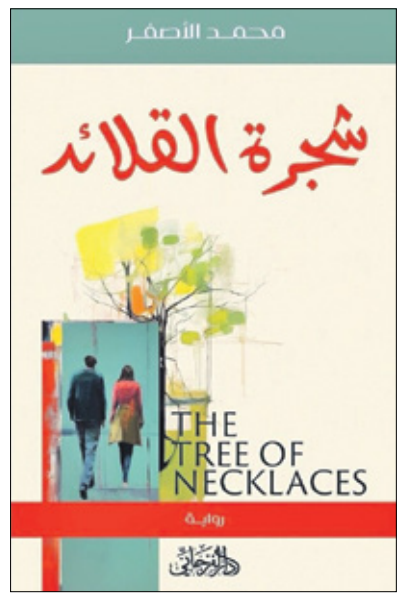

تصدر الرواية عن وعي نسوي تؤكّده فعالية شخصياتها الأنثوية

نظرة أولى

عن «مؤسّسة الدراسات الفلسطينية»، صدر كتاب **غزّة: حرب الانتقام المسعورة، مجموعة أوراق سياسات** لمجموعة من الباحثين، بتقديم الباحث خالد فرّاج. يتضمّن الكتاب أوراقاً نشرتها المؤسسة على موقعها الإلكتروني تباعاً منذ اليوم الثاني للعُدوان على غزّة، من أجل توثيق حرب الإبادة التي يتعرّض لها الشعب الفلسطيني، وتوثيق تداعياتها على القضية الفلسطينية بصورة خاصة، وعلى الصراع العربي الإسرائيلي بصورة عامة، وتنوّعت مجالاتها المعرفية بين التاريخ، والسياسة، والقضايا الاستراتيجية، والقانون الدولي، والاقتصاد، والاجتماع، وإعادة الإعمار.

من الرسومات الكهفية في طاسيلي ناجر بالجزائر، مروراً بضفاف النيل، وما بينهما من شعور التاريخ غير المريح في السجن البرتغالي بالمغرب، يروي الرحّالة الإسباني سانتياغو غارسيا كارابايو في كتاب **صحراء: نداء الرمال**، الصادر عن دار «Almuzara»، رحلته في مسجد تمبكتو بمالي، ويصف لنا احتفالاته برأس السنة في واحة بموريتانيا، وما بينهما من شوارع وقرى منسيّة ينغمر فيها صخب الحضارات التي تصمّ الآذان والتي وُلدت خلف الرمال. إنه كتاب للتعرّف إلى الصحراء بطريقة استثنائية، ولسبر أغوار الكثبان الرملية: وديانها المهيبة، ومياهها غير الآمنة.

فِتيان دمشقيّون في نزهة، عنوان مجموعة شعرية جديدة للشاعر السوري نوري الجرّاح (1956)، صدرت عن «منشورات المتوسّط». في هذه المجموعة، كما في أعماله المتأخّرة، يعثر الجرّاح «على المفتاح السحري لمدينة الشعر. قصائده تجمع بين الملحمي والإنشادي، وبين الدرامي والحكائي، وبين الأسطوري والتاريخي، ما يجعل من شعره مسرحاً للأصوات والوجوه والأقنعة، بلغة ثريّة تفيض بصور شعرية مبتكرة وتراكيب لغوية مدهشة، وإيقاعات رشيقة، لعلّها تكون ذروة المنعطف الذي عرفته تجربة الشاعر في منجزه المتألّق خلال العقد الأخير، مثلما نقرأ في تقديم الناشر.

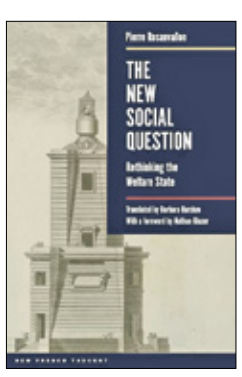

صدرت النسخة الإنكليزية من كتاب **السؤال الاجتماعي الجديد: إعادة النظر في دولة الرفاه** لأستاذ عِلم الاجتماع والمؤرّخ الفرنسي بيير روزانفالون عن «منشورات جامعة برينستون» بترجمة باربرا هارشو. يتتبّع روزانفالون تاريخ دولة الرفاه منذ نهاية القرن التاسع عشر، والتي تقوم على أنّ المخاطر، خاصة المرض والبطالة، موزّعة بالتساوي ولا يُمكن التنبّؤ بها، موضّحاً أن هذه الفكرة أصبحت غير قابلة للتطبيق بسبب التنويع الاقتصادي والتقدّم في التحليل الإحصائي وتحليل المخاطر، وأنّ بعض الأفراد سيواجهون مخاطر أكبر من غيرهم بسبب وظائفهم وأسلوب حياتهم.

صدر عن «محترف أوكسجين للنشر» في أونتاريو كتاب جديد للمخرج والباحث السينمائي العراقي قيس الزبيدي، بعنوان **في البدء كانت الكلمة - السيناريو**. يضعنا الكتاب في صلب موضوعه، وهو تعلُّم تأليف السيناريو، ويشرح مراحل هذه العملية الإبداعية، ويُقدّم لكلّ المناهج المتّصلة بها، مع تشريح لسيناريوهات أفلام وتمارين عملية على الكتابة، في سياق متصل بنظرية الفيلم وتاريخ السينما، وعلاقة هذه الأخيرة مع المسرح والرواية، والفروقات بين الأدبي والسينمائي، على اعتبار السيناريو «كتابة وصف شامل لصور وأصوات تسرد الحكاية على الشاشة».

بترجمة الكاتب اللبناني فارس يواكيم، صدرت عن «أطلس للنشر والتوزيع» ترجمةٌ جديدة لديوان لويس أراغون **عيون إلزا**. العمل، الصادر عام 1942، هو واحدٌ من أربعة دواوين خصّصها الشاعر والكاتب الفرنسي لرفيقة دربه إلزا تريوليه حتى رحيلها سنة 1970: «إلزا» (1959)، و«مجنون إلزا» (1963)، و«ما كانت باريس لولا إلزا» (1964). الديوان، في معظمه، قصائد غزل بها، لكنّ إلزا تحضر في القصائد السياسية أيضاً؛ حيث يجعلها أراغون رمزاً لفرنسا التي كانت تحارب النازية حينها؛ حيث وظّف «موهبته الشعرية لصالح مهمّته الوطنية بحشد مؤيّدي المقاوَمة وإلهاب حماستهم».

الإبادة الجماعية في الشرق الأوسط: من نكبة فلسطين إلى تدمير العراق، عنوان الكتاب الصادر عن «دار الرافدين» للباحث العراقي سعد سلّوم، وفيه إضاءةٌ على الوقائع الاستعمارية التي شهدتها المنطقة العربية إثر زرع الكيان الاستيطاني في أرض فلسطين، والارتدادات التاريخية التي حملتها نكبة الخامس عشر من أيار/ مايو 1948 بما تضمّنته من جرائم إبادة وتطهير عِرقي وسرقة ممتلكات شعب، كما يعرض الكتاب لما ترتّب على الغزو الأميركي للعراق عام 2003 من تدمير وحرب أهليّة تلتها عمليات تهجير وإبادة واسعة قامت بها تنظيمات مسلّحة.

كتاب **حكايات الساموراي** للروائي الياباني أساتارو ميامورى، الصادرة ترجمته عن «دار التكوين» بتوقيع ماهر حرامي، هو أطروحة مترفة للروح والعقل، تجسّد رموز الفروسية والشهامة في عالم اليابان القديم. تتسلل صفحاته إلى عمق الزمن، حيث تتلاشى الحدود بين الواقع والخيال، وتستحضر قصصاً حقيقية تجسّد أفعال البطولة والتضحية. يقدّم الكتاب فرصة للتعرّف إلى ثقافة الساموراي ويكشف لنا عن قيم الشجاعة والولاء والتفاني التي كانت عنواناً لسلوك الساموراي. في عالم يعصف به الزمن والتحولات، لا يزال تراث الساموراي ينبض بالحياة في اليابان حتى يومنا هذا.